

فراصة النبي (ﷺ)
في اختيار الرجال للمهمات الصعبة

م. منى سلطان عطوان الكيلاني
كلية الإمام الأعظم - الجامعة

المقدمة:

الحمد لله حمداً كثيراً والصلاة والسلام على نبيه (ﷺ) الأكرم محمد أما بعد:
كان النبي (ﷺ) يتمتع بفراصة عظيمة في اختيار الرجال للمهمات الصعبة، وكان على علم ومعرفة كبيرة بذوي الكفاءات من أصحابه، وقد تعددت طرق اختياره للرجال بين تسمية الشخص بعينه أو طرح المهمة على الرجال ليتقدم من يجد في نفسه القدرة على التنفيذ أو الإفادة من ظروف صاحب المهمة كحال نعيم بن مسعود أو طريقة التشجيع المعنوي والرمز وغيرها من الطرق البارة، كما أن النتائج تنوعت حسب المهمة، فالنتائج في المهمات الفدائية قد حققت الهدف المقصود، والنتائج في المهمات الاستخبارية والتجسسية قد حققت هدفها في كسر شوكة الأعداء والحصول على المعلومات الاستخبارية المطلوبة، أما المهمة الإعلامية فقد ساهمت في تحقيق المراد منها من زعزعت معنويات العدو ورفع معنويات المسلمين، واستهجان من تجاوز القيم والمبادئ...، وهناك مهمات أخرى حققت أهدافها بدقة تعرض لها البحث.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تكمن أهمية البحث في الإفادة من السيرة النبوية في استخراج المهمات والأعمال التي أكلها النبي (ﷺ) إلى الصحابة وتفصيلها من كل جوانبها وإفادة الشباب والمسؤولين منها في الحياة العملية والوظيفية ومعاملة الخصوم .

وقد اتبعت في بحثي منهج الموضوعية والاستقرائية في عرض التفاصيل واعتماد أمهات الكتب التاريخية والتراجم، والأستعانة بكتب فقه السيرة لمحمد سعيد البوطي، وعلي محمد الصلابي .

وقد ابتنيت هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة والخطة البحثية على

التفصيل التالي:

١. تنوعت تعريفات الفراسة باختلاف مصدرها فهي إما نور رباني يقذفه الله في قلوب العباد أو خاطر يهجم على القلب يدل صاحبه على الحق أو تبين صفات وهيئات وأخلاق تدل على ما في داخل الإنسان.

٢. مشروعية الفراسة ما دامت في حدود التأمل والتفحص لهيئات وأخلاق وصفات الشخص وإختلف الفقهاء باعتبارها طريقاً من طرق القضاء واعتبروها قرينة تحتاج إلى دليل .
٣. والفراصة العظيمة التي كان يتمتع بها النبي (ﷺ) في طريقة الاختيار للرجال ومواصفاتهم والتي تناسب طبيعة كل مهمة ومن ثم النتائج مثمرة إلى أبعد الحدود فكانت نتائج ناجحة أنياً ومستقبلياً.
٤. إن نماذج المهمات التي تعرض لها البحث والتي قام لها صحابة أجلاء دلت على مدى خطورة هذه المهمات من ناحية ومدى مناسبة كل مهمة لصاحبها وما يتمتع به من صفات ومواصفات والقيم والمبادئ الإسلامية التي يتمسكون بها جعلت النجاح والإنتصار حليفاً لهم .
- ثم أنهيت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي رتبها حسب حروف المعجم، وقدمت القرآن الكريم على باقي المصادر وقد بذلت جهدي في هذا البحث ومن الله التوفيق والحمد لله والصلاة والسلام على النبي الكريم .
- المطلب الأول: تعريف الفراسة لغةً واصطلاحاً**
- الفراسة لغة:**

قال العلامة الجوهري في كتابه الصحاح: الفراسة - بالكسر - الاسم من قولك تفرست فيه خيراً، وهو يتفرس، أي يتثبت وينظر، تقول منه: رجل فارس النظر^(١).

وجاء في تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري: الفراسة - بكسر الفاء - النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به^(٢).

وجاء في القاموس المحيط: الفراسة - بالكسر - اسم من التفرس^(٣) وجاء في لسان العرب لابن منظور: الفراسة بكسر الفاء - النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به، يقال: إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالماً به ... إلى أن قال: والفارس الحاذق بما يمارس من الأشياء كلها، وبها سمي الرجل فارساً قال ابن الأعرابي: فارس في الناس بين الفراسة والفراسة، وعلى الدابة: بين الفروسية، والفروسة لغة فيه، والفراسة - بالكسر - الاسم من قولك تفرست فيه خيراً، وتفرست فيه توسمه^(٤).

(١) تاج اللغة وصحاح العربية: أسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢-١٤٠٢هـ، ٩٥٨/٣.

(٢) دار الكتاب العربي - القاهرة (بلا ط) ٤٠٥/١٢.

(٣) القاموس المحيط للفيروز أبادي، مكتبة النوري - دمشق ٢٤٥/٢.

(٤) لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور - بلا ط - دار صادر - بيروت ١٦٠/٦.

وجاء في المصباح المنير: فرست بالعين - أفرس- من باب حزب أيضاً - فِرَاسَة - بالكسر، وتفرست فيه الخير تعرفته بالظن الصائب ومنه " اتقوا فِرَاسَة المؤمن" ^(١).
وجاء في تاج العروس: الفِرَاسَة - بالكسر - اسم من التفرس وهو التوسع - يقال: تفرس فيه الشيء إذا توسمه ^(٢).
هذا ومما تقدم يتبين لنا: أن الفِرَاسَة - بالكسر - عند العرب التثبت والتفحص حتى تعرف سمة الشيء وعلامته وصفته .

الفِرَاسَة - اصطلاحاً:

تتوعد معاني وعبارات العلماء في وضع معيار محدد للفِرَاسَة في الإصطلاح:
جاء في مدارج السالكين: نور يقذفه الله في قلب عبده يفرق به الحق والباطل والصادق والكاذب ^(٣).
وقيل - الفِرَاسَة: خاطر يهجم على القلب فينفي ما يضاده وله على القلب حكم اشتقاقاً من فريسة السبع - وهي على حسب قوة الإيمان فكل من كان أقوى إيماناً كان أحد فِرَاسَة ^(٤).
وقال فخرالدين الرازي: الفِرَاسَة - عبارة عن الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة، ثم استطرّد قائلاً: وتقرير هذا الكلام أن المزاج إما أن يكون هو النفس، وإما أن يكون آلة النفس في أفعالها، وعلى كلا التقريرين فالخُلُق الظاهر والخُلُق الباطن لا بد وأن يكونا تابعين للمزاج ^(٥).
وقيل في الفِرَاسَة إصطلاحاً: هي الاستدلال بهيئات الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله، وربما يقال: هي صناعة صيادة لمعرفة أخلاق الإنسان وأحواله ...

(١) المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيوس المقرئ، دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مادة فرس، ص ٢٧٧.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة - بيروت - بلا ط - ٣٢٨/١٦.

(٣) مدارج السالكين: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق عاطف صابر شاهين، الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، دار الغدير، القاهرة، مصر، ج ٢، ص ١٦٣.

(٤) الرسالة القشيرية في التصوف: لأبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري - دار الكتاب - القاهرة، ص ٩٤.

(٥) كتاب الفِرَاسَة: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي - بلا ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ص ٩٤.

ولفظها مأخوذ من قولهم فرس السبع الشاة، وسمى الفرس به لأنه يفترس المسافات جرياً والفِرَاسَة على ضربين:

الأول: يحصل للإنسان عن خاطر لا يعرف سببه وهو ضرب من الإلهام والثاني يكون بصناعة متعلمة وهي معرفة ما في الألوان والأشكال والأمزجة والأخلاق ومن عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب بالفِرَاسَة^(١).

ويسمى صاحب النوع الأول المحدث كما ورد في الحديث الشريف: ((لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عُمَرُ)).

رجالٌ يكلمون من أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فَعُمَرُ^(٢).
والتأمل في هذه التعريفات الإصطلاحية أنها تقتصر لتعريف شامل واسع، فأكثرها ينطبق على الفِرَاسَة الخُلُقِيَّة دون الفِرَاسَة الإيمانية والرياضية وغيرها ويمكن تعريف الفِرَاسَة: هي ما يحصل في القلب من خاطر سواء كان لأسباب باطنية داخلية أو خارجية، أو بسبب خبرة متراكمة .

المطلب الثاني: مشروعية الفِرَاسَة

لا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الفِرَاسَة بمعنى النظر والتثبت في الأمور للأعتبار وللوصول إلى الحق والصواب والأصل في هذه المشروعية.

قوله تعالى: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ))^(٣). وقد تنوعت عبارات علماء التفسير في المراد بالمتوسمين من هم ؟

فقال الإمام النسفي: ((للمتوسمين)) أي المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشيء بسمه ظاهره^(٤).
قال العلامة ابن جزى: ((للمتوسمين)) أي للمتفرسين – ومنه فِرَاسَة المؤمن^(٥).

(١) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية – بيروت – بلاط – ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) وكذلك الحديث في كتاب أحاديث الأنبياء ٣٤٦٩٨، ص ٥٨٥.

(٣) سورة الحجر أية: ٧٥.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله أحمد بن محمود النسفي، الطبعة الخامسة، ج ٢، ص ١٩٦. حققه يوسف علي بديوي، راجعه د. محي الدين دبس – دار ابن كثير، دمشق، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٥) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن جزى الكلبي – ط ٤، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٨/٢.

وقال العلامة ابن كثير: ((للمتوسمين)) أي أن آثار هذه النعم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته^(١).

وقال العلامة ابن القيم: بعد إيراده لعبارات المفسرين في ذلك: ولا تنافى بين هذه الأقوال فإن الناظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم، وما آل إليه أمرهم: أورثه فِرَاسَةً وعبرة وفكرة^(٢).
أما الأدلة من السنة:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): ((اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ))، ثم قرأ ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ))^(٣).

ونتوصل مما سبق أن الفِرَاسَةَ مشروعيتها تقتصر على الإعتبار والتبصر والتفحص، ولكن إختلف الفقهاء هل يمكن الإفادة من الفِرَاسَةِ باعتبارها نوع من أنواع القرائن وهل تعتبر حجة وطريقاً من طرق القضاء فهذا الموضوع تفصيله وبحثه يطول وليس من صميم بحثنا إنما هو موضوع فقهي نتركه للمتخصصين.

المطلب الأول: طريقة الإختيار

على القيادة أن تكون على إطلاع وتفرس في مواهب وقدرات جنودها الجسدية والمعنوية والثقافية حتى يسهل عليها إختيار الجنود للمهام المناسبة لهم وتحقيق الهدف المنشود منها فالعشوائية في الإنتقاء قد تكلف الأمة الشيء الكثير والمتأمل للسيرة يجد أن النبي (ﷺ) كان لديه القدرة والفِرَاسَةُ في إختيار الرجال والجنود المؤهلين لكل مهمة، وقد تنوعت طرق إختيار (ﷺ) للرجال على التفصيل التالي:

١. تحديد واختيار الرجل بشخصه وذاته، لما يتمتع به من مزايا أفردته عن باقي رفاقه ومزلاءه وهذا ما رأيناه في اختيار أبي بكر (رضي الله عنه) لمهمة الخلافة، ومصعب بن عمير

(١) السراج المنير في تفسير ابن كثير: أبي الفراء ابن كثير - دار الوعي العربي حلب - الطبعة الأولى - ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص ٢٦٦.

(٢) مدارج السالكين: لابن القيم، ج ٢، ص ١٦٢.

(٣) حديث ضعيف: رواه الترمذي بسنده عن أبي سعيد، وقال هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذه الوجه - الجامع الصحيح للترمذي برقم (٣١٢٧) وضعفه، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، ص ٥٦٤. وينظر: المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . حققه حمدي عبد المجيد - مؤسسة الريان - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٣١-٢٠١٠هـ) رقم الحديث ٧٤٩٧، ج ٦، ص ١٩٥، وينظر الكامل في ضعفاء الرجال: أبي أحمد عبد الله بن عُدي الحرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض شارك في تحقيقه عبد الفتاح أبو سنه، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية - ٢٠١١م وقد ورد الحديث ضعيف المجلد ٥ برقم ٣٤٥ والمجلد ٨ برقم ١٤٧.

سفيراً للمدينة، وحذيفه بن اليمان لمهمة استطلاع المشركين في غزوة الأحزاب، وعبدالله بن أنيس مهمة قتل خالد بن سفيان^(١).

٢. الطريقة الثانية:

الدعوة للمهمة بطريقة التشجيع المعنوي والرمز وهذا ما وجدناه في غزوة أحد حينما رفع النبي (ﷺ) سيفه ذو الفقار وقال من يأخذ هذا السيف بحقه، وكان كل من المسلمين يرغب بأخذه ومن ضمنهم ابن عمه النبي (ﷺ) الزبير بن العوام ولكن النبي (ﷺ) لم يعطه أحد، إلا أن قال أبو دجانه (رضي الله عنه) وما حقه، فسؤال أبو دجانه دلالة واضحة على حرصه على تطبيق القيم والمبادئ التي يأمر بها الإسلام وتنفيذ أوامر النبي (ﷺ) فهذه الطريقة أفصحت عن مدى صعود نجم أبو دجانه واستحقاقه للمهمة المطلوبة^(٢).

٣. الطريقة الثالثة:

الإفادة من الفرص المتاحة والطارئة في بعض الحالات واستثمارها لإنجاح المهمة فقد وجد النبي (ﷺ) في نعيم بن مسعود الصحابي الجليل الذي أسلم سراً ولم يعلم بإسلامه أحد الرجل المناسب للمساهمة في تخذيل العدو وكسر شوكته بالحذيفة والخذلان وغرس الشك في الأحزاب المتحالفة ضد الإسلام وأهله فقال له النبي (ﷺ) ((ذب عنا ما استطعت إنما أنت فينا رجل واحد)).

إن طريقة استفادة القيادة من الظروف المواتية والحلول الأنوية وأشخاص الضرورة فقد تحقق فرتسة النبي (ﷺ) في نعيم فقد استطاع أن يغرس الشك والريبة بين اليهود والمشركين حتى أرسل الله عليهم الريح الشديدة لتكسر شوكتهم .

٤. الطريقة الرابعة:

تحديد المهمة وعرضها على من يستطيع القيام بها، ومن لديه القدرة على تنفيذها.
فقد روى عن جابر عن النبي (ﷺ) إنه قال ((من لكعب بن الأشرف))؟
فقال محمد بن مسلمة: أحب أن أقتله قال: نعم، قال: فأذن لي فأقول، قال ((قد فعلت))^(٣).

(١) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة: محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، ص٢٤٥.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ج٤، ص١١٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير رقم الحديث ٣٠٣٢، باب الفتك بأهل الحرب، ص٥٠٠. وينظر: قراءة سلسية: محمد رواسى قلعجي، دار النفائس، للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص١٤٦.

عرض النبي (ﷺ) مهمة قتل كعب ابن الأشرف على الرجال لأنها مهمة صعبة تحتاج إلى قدرة معنوية وجسدية ونكاء وفطنة وعلى الرجال التمعن والتدبر في الأمر قبل إبداء رأيهم خاصة وأن كعب بن الأشرف في حصنه المنيع وسط قومه وحلفاءه وهذه عادة اليهود يعيشون في حصون عالية وسط جماعات فكان من الصعب استدراجه من حصنه، بعيداً عن حيه وأهله للقضاء عليه لذلك طلب محمد بن مسلمة من النبي (ﷺ) الأذن في الخديعة والمكر فقال: لا بد لنا من القول أي التمويه فأذن له النبي (ﷺ) لأن الحرب خدعة^(١).

المطلب الثاني: مواصفات الرجل المختار

هناك صفات خالدة للجندي الحق، هي التي تميز الجندي القوى عن الجندي الضعف من هذه الصفات الطاعة، وهي ما يطلق عليه في المصطلحات العسكرية الضبط^(٢).

وقد ورت آيات عديدة تذكر كلمة الطاعة منها قال تعالى ((مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)) [النساء: ٨٠].

فالأوامر التي تصدر من القيادة تحتاج إلى جنود منضبطين بالطاعة ومستعدين لتنفيذ الأوامر، وإن كان الثمن التضحية بالنفس، وقد ضرب الصحابة والسلف الصالح أروع الأمثال بالطاعة لله ولرسوله (ﷺ) وهذا ما رأيناه في طاعة حذيفة بن اليمان، حينما أمره الرسول (ﷺ) بنقذ مسد أحوال المشركين في غزوة الأحزاب وأثناء هبوب الريح العاتية عليهم وكان الجو شديد البرودة.

٢. ومن صفات الرحيل المختار للمهمات الصبر على المشقات العسكرية وفي ميدان القتال وقد وردت كلمة ((صبر)) في العديد من الآيات الكريمة دلالة على مكانة هذه الصفة وأهميتها في نفوس المسلمين وما تجلبه من نصر وفتح وخير لمن واطب عليها في كل المجالات قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [آل عمران: ٢٠٠].

وهذا ما وجدناه من صبر عبد الله بن عتيك للتأكد من قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق رغم أن ساقه كُسرت وخطورة الموقف حوله فقد جلس بقرب الباب حتى يعلم قتله أم لا، فكان صبوراً على تحمل الأذى والألم إلى أن وصل إلى النبي وأخبره الخبر.

(١) السيرة النبوية: علي محمد الصلابي - دار ابن الجوزي، القاهرة - ط٤ - ٢٠١٢، ص ٤٥٩.

(٢) بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص ١١-

١١٢. ينظر: قراءة سياسية، محمد رواس قلعجي، ص ١٨١.

ومن صفات الرجل المختار (الشجاعة) وهي من أهم مزايا الجندي المسلم، وقد حرص النبي (ﷺ) عند إختياره الرجال أن تكون هذه الصفة من سجايهم فالمسلم لا يجبن أبداً والتولى يوم الزحف من الكبائر وهذا ما وجدناه في كافة المهمات التي أوكلها النبي للرجال المختارين^(١).

من صفات الرجال المختارين (الفطنة والذكاء):

فهناك مهمات تحتاج لحدة في الذكاء والفطنة فهي لا تحتل الخطأ أو العفوية في التنفيذ فالمتمثل للصحابي محمد بن مسلمة ومهمته لقتل كعب بن الأشرف نجده قد وضع خطة في غاية الذكاء فقد استدرج كعب بن الأشرف من منزله ليلاً، وجعله يمشي معه بعيداً عن مكانه وتحدث معه ساعة حتى لا تدخل الريية في قلبه وكان معه رجلان، وجعل يشم رائحة لأسه بين الحين والآخر موهماً إياه بأنه ما رأى كاليوم ريحاً أطيب، فلماً استمكن منه قال دونكم، فقتلوه، فهذا غاية في الذكاء والفطنة فلم يقتله مباشرة بعد نزوله من الحصن، لكان استطاع ان يطلب المساعدة من قومه، أو الإفلات منهم والعودة إلى حصنه^(٢).

-ومن صفات الرجال الثبات على المبادئ والقيم الإسلامية وهذا ما وجدناه في مهمة عبدالله بن عتيك حينما قتل أبو رافع وصاحت زوجته فأراد أن يقتلها فتذكر أن الرسول (ﷺ) نهى عن قتل النساء والأطفال والشيوخ وكذلك ما وجدناه من الصحابي أبو دجاجة في معركة أحد من ترفعه عن قتل النساء^(٣).

المطلب الثالث: نتائج الإختيار

كان نصيب جميع المهمات التي أوكلها النبي (ﷺ) إلى الرجال الذين اختارهم النجاح والتوفيق والوصول إلى الهدف المحدد، لم يولد هذا النجاح عشوائياً للمهمات المختارة، بل كان نتيجة قانون الأخذ بالأسباب والتخطيط الدقيق، والأخذ بأسباب النصر والتمكين ويمكن تقسيم نتائج المهمات التي وردت في هذا البحث إلى النتائج التالية:

١. نتائج اختيار المهمات الفدائية:

كان هذا النوع من العمليات جديداً في الساحة القتالية بين المسلمين وأعداء الإسلام، فقد زرع الخوف والرعب في نفوس أعداء الإسلام خاصة اليهود الذين كانوا كالأفاعي ينفثون السموم في كل مكان ضد الإسلام وأهله، فكانت هذه العمليات قد قطعت رؤوس أفاعي اليهود الذين يحرضون ويتآمرون على الإسلام وحرابه وهذا ما حصل في مهمة قتل كعب بن الأشرف الذي قتله محمد بن مسلمة (رضي الله عنه).

(١) بين العقيدة والقيادة: محمود شيت، ص ١٢١.

(٢) السيرة النبوية: علي محمد الصلابي، ص ٤٥٦.

(٣) بين العقيدة والقيادة: محمد شيت خطاب، ص ١٢١. وانظر السيرة النبوية ص ٦٤٠.

إن العمليات الفدائية أثبتت أن المسلمين لهم القدرة على قتل رموز الكفر في عقر دارهم، واستئصال قوى الشر أينما كانوا، فقد استطاع عبدالله بن عتيك مع فرقته الفدائية الخاصة على اختراق حصن أبي رافع المحصن في خيبر والذي يصعب دخوله، فقد استطاع عبدالله بن عتيك أن يصعد إليه في العلالي وينتظر خروج أصحابه الذين يسمرون عنده، ثم صاح في الظلمة بأسمه، فلما سمع مكان الصوت هوى بالسيف وضرب ابن عتيك، ثم صاح مرة أخرى وعاد لضربه مرة أخرى بالسيف، وانتظر بالحصن حتى سمع نعي موته، وعاد للمدينة مع فرقته رغم أن رجله المكسورة كان يشكو منها الألم وأخبر الرسول بالخبر^(١).

كما نلاحظ نجاح مهمة عبدالله بن أنيس الفدائية في قتل خالد بن سفيان الهذلي، لأنه كان يحرض على قتال المسلمين وغزوهم في المدينة^(٢).

ونلاحظ أن عبدالله بن أنيس استخدم الدهاء والحيلة في قتله، فقد استطاع أن يتظاهر بأنه رجل من العرب سمع بأنه يجمع الرجال ليقاوم محمد وأصحابه وأنه يريد الانضمام إليه، فمشى معه شيئاً، حتى حمل عليه بالسيف حتى قتله، إن سرعة تنفيذ العملية بعد أن تأكد من هوية الهدف، تبين مدى المهارة والتدريب الفردي الذي يتمتع به والتفوق في تحقيق العمليات .

٢. نتائج المهمات المخبرية والتجسسية.

هذا النوع من المهمات قد تطور في الجيش الإسلامي، وأصبحت الحاجة ملحة إليه، لمعرفة أكبر قدر من المعلومات عن العدو، من ناحية العدة والعدد والمكان والنوايا، وأيضاً لإيقاع الشك والريبة في النفوس العدو، وإضعاف معنوياتهم النفسية.

وهذا ما رأيناه في المهمة التجسسية للصحابي حذيفة بن اليمان الذي استطاع أن يخترق معسكر العدو^(٣).

ويتأكد من أن جيش الأحزاب قد أصابه الضعف والهون بسبب عدم تعاون اليهود معهم وتخاذل بعض قوى المشركين وتأثير البرد القارس والريح العاتية عليهم، وعزمهم على الرحيل والعودة إلى ديارهم، وكذلك ما رأيناه في مهمة الصحابي نعيم بن مسعود (رضي الله عنه) وزرعه الشك بين الأطراف المتحالفة من اليهود والمشركين ونجاحه في ذلك إلى أبعد الحدود، فقد طلب

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم الحديث ٤٠٣٨ . وأسد الغابة: ابن الأثير، ج ٣، ص ١٠٨-١٠٩.

وينظر: البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٢، ص ١٩٨.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٢، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٣) بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب، ص ٢١٢.

اليهود الرهائن لصحة نواياهم، كما زرع الشك في قلوب المشركين في عدم صدق اليهود في مشاركتهم بالحرب ضد المسلمين وخوفهم من الغدر ونقض العهد مع محمد (ﷺ)^(١).

٣. نتائج المهمات الغير قتالية:

كانت نتائج اختيار النبي (ﷺ) للمهام الغير قتالية موفقة وسديدة لأقصى الحدود فنتيجة مهمة مصعب بن عمير وسفارته للمدينة ناجحة وحقت للإسلام نتائج باهرة فقد أسلم على يديه زعماء الأوس والخزرج وكبار الصحابة مثل سعد بن معاذ وأسيد بن الخضير واستطاع أن ينشر الإسلام في العديد من دور الأوس والخزرج وهذا مكسب كبير نراه يتحقق في بيعة العقبة الثانية^(٢).

ومن نتائج اختيار النبي (ﷺ) في الرجال للمهام الغير قتالية، اختياره للصحابي أبو بكر (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين من بعده، فقد جمع المسلمين على كلمة سواء وحارب أهل الردة، وأسس دعائم قوية للدولة بعد وفاة النبي (ﷺ)، وتوفيجه في اختيار عمر (رضي الله عنه) من بعده خليفة^(٣).

٤. نتائج اختيار المهمة الإعلامية والمعنوية:

استطاع الصحابي حسان بن ثابت أن يحقق نتائج باهرة في مهمته الإعلامية التي اختارها لها النبي (ﷺ)، فنجد أن أبياته التي كانت تطير إلى مكة، قامت بطرد الزعيم اليهودي كعب بن الأشرف من كل بيت نزل عنده، وتستكر وتستهن أصحاب البيوتات التي تأويه^(٤) وهذا ما تراه عندما نستعرض نماذج للمهام المختاره، وكذلك مهمته الإعلامية في رفع معنويات المسلمين في معركة بدر وتخذيل المشركين في معركة أحد وكذلك غرس وإدخال الخوف والمهانة في نفوس أعداء الإسلام من المشركين أمثال ابن الزبير الذي أسلم بعد أن لاحقته قوافي حسان وعيرته بالجبن والخذلان، فرحل بعيداً فتفكر وتأمل فوجد أن الخير في الإسلام فأسلم^(٥).

المبحث الثالث: نماذج من إختيار النبي (ﷺ) لرجال المهمات الصعبة

أبو بكر (رضي الله عنه) وإختياره للخلافة من بعده:

كان الرسول (ﷺ) ليس فقط يختار الرجال للمهام المؤقتة والحالية بل للمهام في المستقبل والرؤية المستقبلية لمن يتولى الخلافة من بعده فانظر كيف اختار، وأكد على المسلمين

(١) السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي، ص ٨٩.

(٢) سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٣٩٥.

(٣) فقه السيرة: محمد سعيد البوطي، ص ٣٤٣.

(٤) السيرة النبوية: على محمد الصلابي، ص ٤٥٥.

(٥) السيرة النبوية: على محمد الصلابي، ص ٤٥٥.

في اختيار ابى بكر للخلافة، وإن أكثر الرجال وأحقهم، وأجدرهم للخلافة، لمعرفته بما يتمتع به من صفات ومميزات نادره وفذه .

ونلاحظ أن الرسول (ﷺ) قد أثنى على أبى بكر أمام المسلمين في خطبته قبل موته كما أظهر العديد من خصاله وأخلاقه، إرشاداً للمسلمين أنه أحق الناس بالخلافة من بعده ولنستعرض من كتب الحديث والسيرة دلالات هذه المهمة العظيمة التي أوكلها إلى أبى بكر.

خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مرض موته فقال .

((إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن إخوة الإسلام ومودته، لا يبقين المسجد باب الأسد إلا باب أبى بكر))^(١).

وعندما ثقل المرض برسول الله (ﷺ) في أيامه الأخيرة، ولم يستطع الخروج إلى المسجد، أرسل إلى أبى بكر، يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام ١٧ صلاة في حياته (ﷺ)^(٢). وراجعت عائشة (ﷺ) النبي (ﷺ) ثلاث أو أربع مرات، ليصرف الإمامة عن أبى بكر (رضى الله عنه) حتى لا يتشاءم به الناس لأنه كان رجل أسيف كثير البكاء فقال النبي (ﷺ) ((إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس))^(٣).

كما روت عائشة (رضى الله عنها) قالت: ((قال لي رسول الله (ﷺ) مرضه: ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى وبأبى الله، والمؤمنون إلا أبا بكر))^(٤).

يقول البوطي: (إن هذا الحديث ليعد بمثابة النص على استخلاف رسول الله (ﷺ) له من بعده)^(٥).

(١) صحيح البخاري: محمد بن أسماعيل الجعفي ت (٢٥٦ هـ) الطبعة الثانية ١٩٩٩ - دار السلام الرياض كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) رقم الحديث ٣٦٥٦ ، ص ٦١٤ كذلك رقم الحديث ٣٦٥٤، انظر كذلك مختصر صحيح مسلم زكي الدين عبد العظيم المنذري (ت ٦٥٦ هـ) الطبعة الأولى ٢٠٠٣ هـ دار ابن حزم للنشر بيروت رقم الحديث ١٦٢٢، ص ٤٢٧ .

(٢) المصدر نفسه، الأول كتاب الأذان رقم الحديث ٧١٢.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مختصر صحيح مسلم: كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ) رقم الحديث ١٦٢٨، ص ٤٢٩.

(٥) فقه السيرة النبوية: محمد سعيد رمضان البوطي الطبعة الأولى ١٩٩٩ م - دار الفكر دمشق ، ص ٣٤٣.

إن العلامات التي صرح بها النبي (ﷺ) لإستخلاف أبو بكر الصديق كانت واضحة وصريحة للمسلمين ليتعرفوا على خليفتهم الجديد وإعدادهم نفسياً للتعرف على قائد الأمة من بعده حينما انتشر خبر وفاته (ﷺ) في الناس أقبل أبو بكر على فرس من مسكنه له كان قد ذهب إلى منزله أملاً أنه (صلى الله عليه وسلم) قد عوفي من وجعه، حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتييم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله، وبكى ثم قال: ((بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها، ثم خرج (رضي الله عنه) وعمر يكلم الناس أن رسول الله (ﷺ) لم يمت، فأقبل أبو بكر يقول له، على رسلك يا عمر .

أنصت ولكنه أستمّر في كلامه مهتاجاً، فلما رآه أبو بكر لا ينصت، أقبل على الناس فأقبلوا إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال تعالى ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ))^(١).

فكان الناس لم يعلموا، أن الله أنزل هذه الآية، حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما سمعها بشر من الناس إلا وأخذ يتلوها^(٢).

فانظر إلى فراصة النبي (ﷺ) في اختيار الخليفة من بعده، وأن أنسب الرجال وأعقلهم أبو بكر (رضي الله عنه) لمهمة الخلافة، فهو يتمتع بالهدوء والسكينة ورجاحة العقل والجلد عند المواقف الصعبة، وخبرته الواسعة وعلمه في إدارة الأمور والبلاد وفوق كل هذا إيمانه وصدق حبه للإسلام فهو يبعث أمة وحده يوم القيامة.

كان أول عمل قام به أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) جمع كلمة المسلمين وإخراجهم من صدمتهم بوفاة النبي (ﷺ) على الرغم من جلال المصيبة وعلى الرغم من وجود العديد من الصحابة الذين أذهلتهم المصيبة ومنهم عمر (رضي الله عنه) وأخرست عثمان (رضي الله عنه) فلم يتمكن من النطق وأستخفى علي، فكان المخرج على يديه كشفها بشهب الأدلة من القرآن والسنة^(٣).

(١) سورة آل عمران: آية ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي رقم الحديث ٤٤٥٤ ، ص ٧٥٧، وانظر كتاب فضائل أصحاب النبي

(ﷺ) رقم الحديث ٣٦٧٠، البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق جودة محمد جودة -

الطبعة الاولى ٢٠٠٦ هـ دار ابن الهيثم - القاهرة ج ٣ ، ص ٦٦

(٣) السيرة النبوية: علي محمد الصلابي - الطبعة الرابعة ٢٠١٢م - دار ابن الجوزي - مصر، ص ٨٧٣.

ثم أخرج الأمة من حروب الردة ومانعي الزكاة وجمع القرآن، وأنقذ جيش أسامة ووضع قواعد متينة لتتطلق الأمة لنشر الدعوة إلى العالمية، وكلها أعمال عظيمة من خليفة وقائد عظيم (رضى الله عنه) .

مصعب بن عمير ومهمة سفارته إلى المدينة:

كان مصعب بن عمير (رضى الله عنه) أنعم غلام بمكة وكان أبواه يحبانها، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه، وكان أعطر أهل مكة^(١). ولما علم أن رسول الله (ﷺ) يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، دخل عليه فأسلم وصدق به وخرج فكنتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فكان يختلف إلى رسول الله (ﷺ) سراً، فبصر به عثمان بن طلحة ي صلى فأخبر أمه وقومه، فأخذوه وحبسوه^(٢). فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى قال سعد بن أبي وقاص (رضى الله عنه) لقد رأيته جهد في الإسلام جهداً شديداً حتى لقد رأيت جلده يتحشف - أي يتطاير - تحشف جلد الحية عنها حتى إن كنا لنعرضه قتبنا فنحمله مما به من جهد^(٣).

مصعب بن عمير (رضى الله عنه):

بعث الرسول (ﷺ) مع المبايعين في بيعة العقبة الأولى، مصعب بن عمير، يعلمهم الدين ويُقرئهم القرآن، فكان يسمى بالمدينة (المقرئ) وكان يؤمهم في الصلاة^(٤). وقد اختاره رسول الله (ﷺ) عن علم بشخصيته من جهة وعلمه بالوضع القائم في المدينة من جهة أخرى، بجانب حفظه لما نزل من القرآن، يملك من اللباقة والهدوء وحسن الخلق والحكمة قدراً كبيراً، فضلاً عن قوة إيمانه وشدة حماسه للدين ولذلك تمكن خلال أشهر أن ينشر الإسلام في سائر البيوتات المدينة، وأن يكسب للإسلام أنصاراً من كبار زعمائها، كسعد بن معاذ و أسيد بن الحضير، وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهما^(٥).

(١) اسد الغابة: ابن الأثير الجزري - تحقيق خالد الطرطوشي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، بيروت دار الكتاب العربي، ج٤، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه

(٤) سيرة ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، بيروت، دار نوبليس، ج٣، ص ٣٩٣.

(٥) السيرة النبوية: علي محمد الصلابي، الطبعة الرابعة، ٢٠١٢م، دار ابن الجوزي، القاهرة، ص ٢٣٧.

لقد نجحت سفارة مصعب بن عمير (رضي الله عنه) في شرح تعاليم الدين الجديد وتعليم القرآن الكريم، وتفسيره وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبيلتين المتشاحتين من ناحية، وبين النبي (ﷺ) وصحبه في مكة المكرمة لايجاد القاعدة الأمنية لانطلاق الدعوة.

قد نزل مصعب بن عمير (رضي الله عنه) في يثرب على أسعد بن زرارة ونشط المسلمون في الدعوة إلى الله وقاد تلك الحركة الدعوية الرائدة مصعب بن عمير (ﷺ) وقد أنتهج منهج القرآن الكريم في دعوته وهذا ما تعلمه من إمامه النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد شرح لنا بعض الآيات المكية بصورة عملية قال تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)^(١) كان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي قومهما من بني عبد الأشهل وكانا مشركين على دين قومهما فلما سمعا بمصعب بن عمير ونشاطه في الدعوة إلى الإسلام قال سعد لأسيد: لا أبالك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما أن يأتيا دارينا فإنه لولا أسعد بن زرارة منى كفيتك ذلك هو ابن خالتي فأخذ أسيد حربته فوقف عليهما متشمتاً .

فقال: ما جاء بكما، اعتزلنا، فقال له مصعب بلسان المؤمن الهادئ الواثق من سماحة دعوته، أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته نكف عنك ما تكره قال أسيد: أنصفت وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا والله لعرفنا في وجهه الإسلام في إشرافه وتسهله ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعون لمن أراد أن يدخل هذا الدين، قال له: تغتسل وتطهر ثوبك^(٢) .

وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي، فقام فاغتسل وتشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين، ثم قال لهما إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، سأرسله إليكما الآن: سعد بن معاذ .

ثم أخذ حربته وأنصرف إلى سعد وقومه، فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت ؟ قال: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما، فقالا نفعل ما أحببت وقد خُذت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليحرقوك^(٣).

فقام سعد مغضباً، مخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة وأخذ الحربة في يده، ثم خرج إليهما سعد، فوجدهما كطمئنين فعرف أن أسيد إنما أراد أن يسمع منهما . ثم قال لأسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا منى، فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً

(١) سورة النحل: آية ١٢٥.

(٢) سيرة ابن هشام: ج ٣، ص ٣٩٥.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، فقال سعد: أنصفت وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ القرآن، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم، ودخلتم في هذا الدين . قالوا: تغتسل فتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق^(١).

فقام فاغتسل وطهر ثوبه ثم تشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا: نحلّف بالله لقد رجع إليكم بغير الوجه الذي ذهب به، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم، قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى دار في بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة^(٢).

ورجع أسعد بن زرارة ومصعب إلى منزل أسعد فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يتبق دار من الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات^(٣) وصل مصعب (رضي الله عنه) إلى مكة قبيل الموسم من العام الثالث عشر للبعثة ونقل الصورة الكاملة التي انتهت إليها أوضاع المسلمين هناك والقدرات والامكانيات المتاحة، وكيف تغلغل الإسلام في جميع قطاعات الأوس والخزرج وأن القوم جاهزون لبيعة جديدة، قادرة على حماية النبي (ﷺ) .

أبو دجانة ومهمة القتال بسيف النبي (ﷺ):

أبو دجانة سماك بن خرشة بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري . وهو مشهور بكنيته أبو دجانة^(٤)، شهد بدرًا وجميع المشاهد مع النبي (ﷺ) كان شجاعاً، جلدًا في القتال، حكيمًا عاقلًا مهيباً، كل هذه الصفات والمميزات دفعت النبي (ﷺ) لإعطائه سيفه ليقا تل به أعداء الإسلام يوم أحد وهي مهمة صعبة لأن الرسول الكريم (ﷺ) قد اشترط لمن يأخذ السيف أن يأخذه بحقه فقال أبو دجانه أنا آخذه بحقه وقد فعل ووفى بعهده مع الرسول (ﷺ) ودعونا نسرد هذه المهمة بتفاصيلها من كتب السيرة وكيف أعطى هذا السيف حقه.

كان أبو دجانة من الشجعان المشهورين وكانت له عصابة حمراء، يُعلم بها في الحرب فلما كان يوم أحد، أعلم بها، واختال بين الصفيين فقال رسول الله (ﷺ) ((إن هذه مشية يبغضها الله عز وجل، ألا في هذا المقام))^(٥).

(١) سيرة ابن هشام: ج٣، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) اسد الغابة: ابن الأثير الجزري، ج٢، ص٣٢٩.

(٥) البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، ج٢، ص٦٤. وانظر أسد الغابة: ابن الأثير، ج٢، ص٣٣٩.

وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) أخذ سيفاً يوم أحد فقال من يأخذ مني هذا ؟ فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول أنا أنا قال (فمن يأخذه بحقه؟) فأحجم القوم فقال أبو دجانة أنا أخذه بحقه، قال فأخذه ففلق به هامَ المشركين^(١).

إن اختيار أبو دجانة ليأخذ سيف رسول الله (ﷺ) دفع الزبير بن العوام لأن يجد في نفسه، لأنه سأل رسول الله (ﷺ) السيف فلم يعطه إياه وهو ابن عمه رسول الله (ﷺ) ومن قريش ويقول الزبير بن العوام: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله (ﷺ) السيف فمنعني وأعطاه أبا دجانه، وقلت أي في نفسي أنا ابن صفية ومن قريش وقد قمت إليه، فسأله إياه قبله فأتاه إياه وتركني، والله لأنظرن ما يصنع ؟ فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت^(٢) .

فخرج وهو يقول:-

أنا الذي عاهدني خليلي
أن لأقوم الدهر في الكيول
ونحن بالسفح لدى النخيل
أضرب بسف الله والرسول

فجعل لا يلقي أحداً إلا قتلهم وكان في المشركين رجلاً لا يدع لنا جريحاً إلا قتله فجعل كل واحد يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فضرب المشرك أبو دجانة فاتقاه بدركته فضربه أبو دجانة فقتله^(٣) .

ثم أمعن أبو دجانة في هد الصفوف حتى خلص إلى قائد نسوة قريش، وهو لا يدري بها، قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً، فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله (ﷺ) أن اضرب به امرأة، وكانت تلك المرأة هند بنت عتبة، قال الزبير بن العوام رأيت أبو دجانة قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم

عدل السيف عنها^(٤).

فانظر إلى شجاعة أبو دجانة وخلقه الرفيع في عدم ضرب النساء المستضعفات وأن ذلك ليس من شيم الفرسان وإيفاء بعهده لحق سيف الرسول (ﷺ) بأن لا يضرب به الأطفال والشيوخ والنساء والجرحي ولكنه سيفاً صارماً على المشركين .

(١) المصدر نفسه: وانظر كذلك مختصر صحيح مسلم كتاب فضائل، اصحاب النبي، رقم الحديث ١٧١٠.

(٢) ابن هشام: ج ٢، ص ٦٨-٦٩. وانظر البداية والنهاية ج ٢، ص ٦٤-٦٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ابن هشام: ج ٢، ص ٦٨-٦٩. البداية والنهاية: ابن كثير ج ٢، ص ٦٤-٦٥ . وانظر الرحيق المختوم:

عبد الرحمن المباركفوري ، ص ٢٢١.

وأبو دجانة من فضلاء الصحابة وأكابرهم استشهد يوم اليمامة، بعدما أبلى فيها بلاءً عظيماً وكان لبني حنيفة باليمامة حديقة يقاتلون من ورائها فلم يقدر المسلمون على الدخول إليها، فأمرهم أبو دجانة أن يلقيه إليها ففعلوا فانكسرت رجله فقاتل على باب الحديقة و أزاح المشركين عنه ودخلها المسلمون، وقتل يؤمنذ^(١).

حسان بن ثابت ومسؤولية المهمة الإعلامية:

أوكل رسول الله (ﷺ) المهمة الإعلامية إلى حسان بن ثابت، لما كان يعلم منه البلاغة الشعرية، والفصاحة والقدرة على التأثير المباشر على أعداء الإسلام^(٢).

كان النبي (ﷺ) يحث شعراء المسلمين على القيام بواجبهم في الدفاع عن المسلمين وإخافة أعداء الإسلام فقد كان الشعر يمثل الحملات الإعلامية المؤثرة في دنيا العرب، فيرفع أرقاماً ويخفض أرقاماً ويشعل الحروب ويطفئها^(٣).

كانت بؤادر الحرب الإعلامية قد اندلعت منذ الهجرة ويظهر أن القصائد سرعان ما تطير بها الركبان بين يثرب ومكة، فيأتي الرد من الطرف الآخر .

كان الصف الإسلامي، يضم شعراء متخصصين مثل كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة وكان أشدهم على الكفار حسان بن ثابت^(٤).

قال ابن دريد عن أبي حاتم: فضل حسان الشعراء بثلاث كان شاعر الأنصار في الجاهلية، شاعر النبي (ﷺ) في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام^(٥).

ولننظر للمهمة التي أوكلها النبي (ﷺ) لحسان بن ثابت للرد على كعب الأشرف الذي بلغت به الوقاحة والصلف أن يمتد لسانه إلى نساء المسلمين، وشبب بأُم الفضل بنت الحارث (رضي الله عنها) زوجة العباس عم النبي (ﷺ). فقال فيها:-

أذهاب أنت لم تحلل بمنقبة وتارك أنت أم الفضل بالحرم

صفراء رادعة لوتعصر انعصرت من ذى القوارير والحناء والكتم^(٦).

كان حسان بن ثابت لابن الأشرف بالمرصاد، فكان الرسول (ﷺ) يُعلم حساناً أين نزل ابن الأشرف في مكة فعندما نزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضميره السهمي وزوجته عاتكة بنت

(١) اسد الغابة: ابن الأثير، ج٢، ص ٣٤٠.

(٢) السيرة النبوية: محمد الصلابي، ص ٤٥٥.

(٣) سيرة ابن هشام: ج٣، ص ٣٠.

(٤) المنهج الحركي للسيرة النبوية: منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن

(٥) اسد الغابة، ابن الأثير، ص ٥٠٢.

(٦) تاريخ الإسلام: شمس الدين الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتب العربي، ص ١٦٠.

أسيد بن أبي العاص فحينما علم حسان هجاءهم لايوائهم ابن الأشرف فلما بلغ عاتكه هجاء حسان، نبذت رحل اليهودي كعب بن الأشرف، وقالت لزوجها: ما لنا ولهذا اليهودي^(١) ألا ترى ما يصنع بنا حسان .

وتحول كعب بن الأشرف إلى أناس آخرين، وكان كلما تحول إلى إناس آخرين أخبر النبي (ﷺ) حسان أين نزل ابن الأشرف، فيهجو من نزل عندهم فيطردونه وظل يلاحقه حتى لفظه كل بيت هناك، فعاد إلى المدينة راعماً بعد أن ضاقت في وجهه السبل^(٢).

كانت الحرب الإعلامية التي شنها حسان ضد كعب بن الأشرف قد حققت أهدافها وهذه بعض الأبيات التي قالها حسان بن ثابت (رضي الله عنه) في الرد على كعب بن الأشرف .

أبكى لكعب ثم غُلَّ بعبرة	منه وعاش مجدعاً لا يسمع
ولقد رأيت ببطن بدر منهم	قتلى تسح لها العيون وتدمع
فأبك فقد أبكيت عبداً راضعا	شبه الكليب إلى الكليبه يتبع
ولقد شفى الرحمن من سيداً	وأهان قوماً قاتلوه وضرعوا ^(٣) .

لما فتحت مكة فَرَّ عبد الله بن الزبَيْر السهمي إلى نجران، فلحقته قوافي حسان فقد كان عبد الله خصماً عنيداً للإسلام فراح يعيره بالجبن والفرار فقال له:

لا تعد من رجلاً أحلك بغضه نجران من عيش أخذ لئيم^(٤)، أي: فليبق الله لنا محمداً (ﷺ) الذي أحلك بغضه ديار نجران وليدم الله عليك ابن الزبيري عيشاً ذليلاً مهيناً ثم راح حسان يستنزل غضب الله ومقته على الزبيري وبخله و ويسأل الله أن يخلده في سوء العذاب وأليمه قال:

غضب إلهه على الزبيري وعذاب سوء في الحياة مقيم .

فتطايرت تلك الابيات ووصلت إلى ابن الزبيري فقام وقعد وقلب، ثم أراد الله به الخير فأسلم^(٥) .

حينما دخل الرسول (ﷺ) إلى مكة يوم الفتح حرص النبي (ﷺ) أن يدخل الكداء التي بأعلى مكة^(٦)، تحقيقاً لقول صاحبه الشاعر حسان بن ثابت حين هجا قريش، وأخبرهم بأن خيل الله تعالى، ستدخل مكة من كداء، وتعد هذه القصيدة من أروع ما قاله حسان قال:

(١) اسعد الغابة، ابن الأثير، ص ٥٠٢.

(٢) سيرة ابن هشام، ص ٥٩ . البداية والنهاية: ابن كثير ص ٥٤-٥٥.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) البداية والنهاية: ج ٣، ص ٧٣.

(٥) المصدر نفسه .

(٦) سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٧٤-٧٥، والبدية والنهاية: ابن كثير، ج ٣، ص ٧٤-٧٥.

عد منا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء^(١).

وما يؤيد حرص النبي (ﷺ) على الدخول من كداء ما جاء عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال: لما دخل الرسول (ﷺ) عام الفتح رأى النساء يلطن وجوه الخيل بالخمير، فتبسم إلى أبي بكر فقال ((يا أبا بكر، كيف قال حسان ؟ فأنشده .

تظل جياندا متمطرات تلطن بالخمير النساء^(٢).

وحتى نبين مدى أهمية الإعلام والدور الإعلامي في الحروب، فعن البراء (رضي الله عنه): أن النبي (ﷺ) قال لحسان: ((أجهم وجبريل معك)) وفي رواية أخرى ((يا حسان أجب عن رسول الله (ﷺ) اللهم أيدّه بروح القدس))^(٣).

عبد الله بن أنيس ومهمة قتل خالد بن سفيان الهذلي:

كان عبد الله بن أنيس الجهني، قوي القلب ثبت الجنان، راسخ اليقين، عظيم الإيمان وبجانب هذه الصفات العظيمة التي أهله لهذه المهمة فهناك سبب آخر هو معرفته مواطن القبائل المجاورة لديار قومه جهينة^(٤).

وكان سبب المهمة قام خالد بن سفيان الهذلي بجمع المقاتلة من هذيل وغيرها في عرفات وكان يتهيأ لغزو المسلمين في المدينة مظاهراً لقريش وتقرباً إليها، ودفاعاً عن عقائدهم الفاسدة وطمعاً في خيرات المدينة، فأرسل رسول الله (ﷺ) الصحابي عبيد الله بن أنيس الجهني إليه بعد أن كلفه بمهمة قتله ويحدثنا عبد الله بن أنيس بنفسه قال (رضي الله عنه) دعاني رسول الله (ﷺ) فقال ((إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرفه فأته فأقتله)) قال قلت يا رسول الله انعته حتى أعرفه، قال إذا رأيته وجدت له قشعيرة^(٥). قال فخرجت متوشحاً بسيفي، حتى وقعت عليه بعرفه مع ظعن يرتاد لهن منزلاً، حين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله (ﷺ) من القشعيرة، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه واميء برأسي الركوع والسجود، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل .

قلت: رجل من العرب سمع بك وجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب رقم الحديث ٦١٥٣ - ٦١٥٢ . وانظر البداية والنهاية ج ٢ ، ص ١٩١ وسيرة ابن هشام ج ٤ ، ص ٢١٦ .

(٤) أسد الغابة: ابن الأثير، ج ٣، ص ١١-١٢ . وأنظر: البداية والنهاية: ج ٢، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٥) المصدر السابق .

قال: أجل أنا في ذلك
قال: فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته، ثم خرجت،
وتركت ظعائنه مكبات عليه^(١).
فلما قدمت على رسول الله (ﷺ) فرأني
فقال: ((أفلح الوجه))
قلت: قتلته يا رسول الله
قال (ﷺ) ((صدقت))
ثم قام معي رسول الله (ﷺ) فدخل بيته فأعطاني عصا
فقال: ((أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس)).
قال: فخرجت بها على الناس .
فقالوا: ما هذه العصا ؟
قلت: أعطانيها رسول الله (ﷺ) وأمرني أن أمسكها .
قالوا أو لا ترجع الى رسول الله (ﷺ) فتسأله عنها ؟
قال: فرجعت إلى رسول الله (ﷺ) .
فقلت: لم أعطيتني هذه العصا .
قال: (ﷺ) آية بيني وبينك يوم القيامة .
فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه، حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه، ثم دُفنا
جميعاً .

نعيم بن مسعود ومهمة الحرب خدعة:

صاحب هذه المهمة هو نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الأشجعي المكنى بأبو
سلمة^(٢)، ساق المولى عز وجل نعيم بن مسعود إلى رسول الله (ﷺ) ليعلن إسلامه في غزوة
الخنق وقال له: يا رسول الله، إن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال له رسول الله
(ﷺ) ((أنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة))^(٣).

(١) المصدر السابق .

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير، ج ٤، ص ٤٠٩.

(٣) انظر البداية والنهاية: لأبن كثير، ج ٤، ص ١١٣، فقه السيرة للبوطي، ص ٢١٦، والسيرة النبوية: للصلابي،
ص ٥٩٣، وانظر السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعي، ص ٨٩.

وكان نعيم بن مسعود رجلاً محبوباً وموثوقاً عند اليهود والمشرّكين تميز بحدة الذكاء وقوة الإقناع وسرعة البديهة والدهاء فقام نعيم بن مسعود بزرع الشك بين الأطراف المتحالفة في غزوة الأحزاب^(١).

فأغرى اليهود بطلب الرهائن من قريش لئلا تدعمهم وتتصرف عن الحصار وقال لقريش إن اليهود إنما تطلب الرهائن لتسليهما للمسلمين ثمناً لعودتها إلى صلحهم، لقد اشتهرت قصة نعيم بن مسعود، في أنها لا تتنافى مع قواعد السياسة الشرعية فالحرب خدعة^(٢).

وكان من أسباب نجاح مهمة نعيم قيامها على الاسس التالية:-

١. أنه أخفى إسلامه عن كل الأطراف، بحيث وثق كل طرف فيما قدمه من نصح .
 ٢. نجح في أن يكتّم كل طرف عن الطرف الآخر ما قال له وفي استمرار هذا الكتمان نجح في مهمته فلو انكشف أمره لفشلت المهمة.
- ذكرت كتب السيرة أن نعيم بن مسعود ذهب من فوره إلى بني قريظة، وكان عشيّاً لهم في الجاهلية - فدخل عليهم .

وقال: قد عرفتم ودي إياكم

قالوا: صدقت

قال: فإن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسائكم لا تقدرون أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريش وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهروهم عليه وبلدهم ونسأؤهم بغيره فإن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا لحقوا ببلادهم وتركوكم ومحمداً فأنتقم منكم .

قالوا: وما العمل يا نعيم .

قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن .

قالوا: أشرت بالرأي ثم مضى نعيم إلى قريش .

وقال: مثل ذلك .

ثم ذهب إلى غطفان وقال لهم مثل ذلك^(٣).

فلما كان يوم السبت من شوال سنة ٥ هـ بعثوا إلى يهود أنا لسنا بأرض مقام قد هلك الكراع والخف، فأنهضوا بنا نناجز محمدًا فارسل إليهم اليهود اليوم يوم سبت وقد علمتم ما أصاب من قبلنا

(١) المصدر نفسه .

(٢) فقه: السيرة: البوطي، ص ٢١٦. والسيرة النبوية: للصلابي، ص ٥٩٤. وانظر الرجيق المختوم: المباركفوري، ص ٢٦٩-٢٦٦.

(٣) المصدر السابق .

حين أحدثوا فيه ومع هذا فإننا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن فلما جاءتهم رسلهم بذلك، قالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم، فبعثوا إلى اليهود إنا والله لا نرسل إليكم أحداً، فأخرجوا معنا حتى نناجز محمداً

فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم . فتخاذل الفريقان، ودبت الفرقة في صفوفهم، وخارت عزائمهم^(١).

حذيفة بن اليمان ومهمة تحري انصراف الأحزاب:

كان رسول الله (ﷺ) يتابع أمر الأحزاب في غزوة الخندق فأراد أن يتحرى عما يحدث في معسكر الأحزاب .

فقال (ﷺ) ألا رجل يأتنا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة^(٢). واستعمل النبي الكريم (ﷺ) أسلوب الترغيب، وكرره ثلاث مرات، وعندما لم يُجد هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم، فعين واحداً بنفسه .

فقال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم، ولا تدعهم علي^(٣).

فلماذا اختار النبي (ﷺ) حذيفة لهذه المهمة ؟

إن معرفة الرسول (ﷺ) بمعادن الرجال وأن حذيفة بن يمان كان المناسب لمهمة التجسس على الأحزاب فهو شجاع، وذا بديهة وذكاء كبير وقدرته على إحتواء المواقف الصعبة .

ويذكر حذيفة بن اليمان قصته مع هذه المهمة يقول حذيفة: فمضيت كأنما أمشي في حمام فإذا أبو سفيان يصلى ظهره بالنار، فوضعت سهماً في كبد القوس، وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله (ﷺ) ((لا تدعهم علي)) ولو رميته لأصبته ثم دخل القوم ودخلت معهم . وقال أبو سفيان ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه .

قال حذيفة: فضربت بيدي على يد الذي على يميني

فقلت: من أنت ؟

قال: معاوية بن أبي سفيان ثم ضربت بيدي على يد شمالي .

فقلت: من أنت ؟

قال: عمر بن العاص.

(١) المصدر السابق .

(٢) مختصر صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، رقم الحديث ١٤١٤ . البداية والنهاية: لأبن كثير، ج٢، ص٣٧٣.

(٣) المصدر نفسه . وانظر بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،

١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢١٢.

وهكذا بدرهم بالمسألة حتى لا يتيح لهم فرصة ليسألوه، وبهذا تخلص من المأزق الذي ربما كان أودى بحياته، كما أن حذيفة كان يتمتع بالانضباط العسكري وذلك بالتزامه بأوامر النبي (ﷺ) بأن لا يذعروهم رغم أنه أراد أن يصيب أبو سفيان بسهمه ولكن الطاعة والسمع للقائد كان أولى من ذلك^(١).

ويذكر حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) ((فرجعت كأنما أمشي في حمام، فأتيت رسول الله (ﷺ) وأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله (ﷺ) وألبسني فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصبح، فلما أصبحت قال رسول الله (ﷺ) ((قم يا نومان)).

إن ما حدث لحذيفة بن اليمان، عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جو بارد ماطر شديد الريح وإذا به لا يشعر لهذا الجو البارد وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتى عاد إلى معسكر المسلمين - لاشك أن هذه كرامة يمن الله بها على عباده المؤمنين .

إن لطف النبي (ﷺ) مع حذيفة وترفقه به ولم تمنعه صلاة الليل وحلاوة المناجاة من التلطف بحذيفة الذي جاء بأحسن الأخبار، فشمله بكسائه الذي يصلي فيه دليل على محبته النبي (ﷺ) للصحابي حذيفة (رضي الله عنه) الذي تركه ملفوفا بردائه عليه الصلاة والسلام، حتى أتم صلاته .

محمد بن مسلمة ومهمة قتل كعب بن الأشرف:

محمد بن مسلمة بن خالد الانصاري الأوسي حليف بني عبد الأشهل^(٢). صحابي جليل تميز بالشجاعة والوفاء بالعهد والكلمة والإخلاص الشديد للإسلام وهذه المميزات رشحته لمهمة قتل كعب بن الأشرف اليهودي وهو أحد سادات اليهود وكان كعب بن الأشرف ينتسب إلى قبيلة طيء، كان أبوه قد أصاب دماً في الجاهلية، فقدم المدينة وحالف يهود بني النضير وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعباً^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) أسد الغابة: ابن الأثير، ج ٤، ص ٢٢٦.

(٣) السيرة لابن هشام، ج ٣، ص ٣١٨. وانظر: البداية والنهاية: لابن كثير، ج ٢، ص ٥٣-٥٤.

وكان شاعراً، ناصب الإسلام العداء، وقد غاظه انتصار المسلمين على قريش في معركة بدر فسافر إلى مكة يهجو النبي (ﷺ) ويحرض قريش على الثأر لقتلهم الذين كان ينوح عليهم، ويبكيهم في شعره ويدعو إلى القضاء على الإسلام والمسلمين .
استمر كعب بن الأشرف في أذية الرسول (ﷺ) بالهجاء وتشجيع قريش لمحاربة المسلمين، فقال له أبو سفيان: أناشدك الله، أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه، قال أنتم أهدى منهم سبيلاً^(١).

ثم خرج مقبلاً قد أجمع رأى المشركين على قتال النبي محمد (ﷺ) وبلغت به الوقاحة والصلف أن يمتد لسانه إلى نساء المسلمين، وشبب بأُم الفضل بنت الحارث (رضى الله عنها) زوجة العباس عم النبي (ﷺ).
فقال فيها:-

أذهب أنت لم تحلل بمنقبة وتارك أم الفضل بالحرم
صفراء رادعه لو تعصر انعصرت من ذى القوارير والحناء والكتم
إحدى بني عامر هام الفؤاد بها ولو تشاء شفت كعباً من سقم^(٢).

لقد قام اليهودي ابن الأشرف بجرائم كثيرة وخيانات عديدة للنبي (ﷺ) والمسلمين والمسلمات وكل جريمه تعد نقضاً للعهد تستوجب عقوبة القتل وصار محارباً مهدور الدم ولذلك أمر النبي (ﷺ) بقتله .

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ﷺ) من لكعب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله . فقام محمد بن سلمة .
فقال: أنا يا رسول الله تحب أن أقتله ؟

قال: ((نعم)) .

قال: فأذن لي أن أقول شيئاً .

قال: ((قل))^(٣).

وتذكر كتب السيرة أن محمد بن مسلمة مكث ثلاثة أيام بعد أن أستعد لقتل كعب بن الأشرف لا يأكل ولا يشرب فذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فدعاه فقال له ((لم تركت الطعام والشراب)) ؟
فقال: يا رسول الله، قلت لك قولاً لا أدري هل أفين به أم لا .
فقال رسول الله (ﷺ) ((إنما عليك الجهد))

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم الحديث، ص ٤٠٣٧ .

فقال لا بد لنا أن نقول .

قال: ((قولوا ما بدا لكم))^(١).

ثم مشى معهم إلى البقيع الغرقد، ثم وجههم .

فقال: ((انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم))^(٢).

وافق النبي (ﷺ) على إعطاء المهمة إلى محمد بن مسلمة بعد ما تفرس فيه القدرة على الوفاء بالكلمة والعهد وهذا ما نراه حينما امتنع عن الشراب والطعام وأصابه الغم والهم لأنه قال قولاً يخشى ألا يستطيع الوفاء به ونلاحظ أن محمد بن مسلمة شديد الفطنة وعرف أن الحرب خدعة يحتاج فيها إلى المكر والخديعة للقضاء على العدو وقد أذن له الرسول (ﷺ) بذلك .

فذهب محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف .

فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة (يقصد محمداً (ﷺ)) وإنه قد عانا، وإنني قد أتيتك أستسلفك، إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين .

فقال: أرهنوني .

قالوا: وماذا تريد .

قال: أرهنوني نسائك .

قالوا: وكيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب .

قال: فأرهنوني أبناءكم .

قالوا: كيف نرهنك أبناءنا هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة، فواعده أن يأتيه^(٣).

فجاء ليلاً ومعه ابو نائله، وهو أخو كعب من الرضاعة، فنزل إليهم كعب من الحصن وجاء محمد بن مسلمة برجلين وقال: إذا ما جاء فإنني قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل كعب وهو ينفخ منه ريح الطيب .

فقال أتأذن لي أن أشم رأسك ؟

قال نعم فشمه فلما استمكن منه، قال دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي فأخبروه . كانت خطة محمد بن مسلمة محكمة دقيقة أثبتت أنه رجل المهمات الصعبة وقدرته الفائقة على الحفاظ على سرية المهمة مع كثرة من في المدينة من اليهود والمنافقين خصوصاً قد عرض النبي (ﷺ) المهمة في

(١) سيرة ابن هشام: ج ٣، ص ٦٢، البداية والنهاية: ج ٢، ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق .

مشهد من الصحابة وجرت فيه المشورة وقد فتح الله على يدي هذا الصحابي قتل هذا اليهودي اللعين^(١).

عبد الله بن عتيك ومهمة قتل سلام بن أبي الحقيق:

صاحب هذه المهمة عبد الله بن عتيك الانصاري الخزرجي، وكان الحيين من الأنصار، الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله (ﷺ) تصاول الفحلين لا تصنع الأوس شيئاً فيه لرسول الله (ﷺ) إلا قالت الخزرج: والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله (ﷺ) وفي الإسلام ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله (ﷺ) طمع الخزرج في مهمة عظيمة كالتى كانت للأوس .

وفي صحيح البخاري: أن الرسول (ﷺ) بعث رهطاً إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق وكانوا من الخزرج وأمر عليهم عبد الله بن عتيك^(٢).

وكان سبب هذه المهمة، أن ابو رافع من يهود بني النضير كثير التحريض على الدولة الإسلامية، حتى إنه جعل لغطفان ومن حولها من قبائل العرب، الجعل العظيم إن هي قامت لحر رسول الله (ﷺ) وأصبح تحريضه على الدولة الإسلامية من الأخطار التي يجب أن يوضع لها حد^(٣) على الرغم من أن الرسول (ﷺ) أرسل رهط من الخزرج لكنه أمر عليهم عبد الله بن عتيك وفي هذه المهمة سطع نجم عبد بن عتيك وحمل على عاتقه وضع الخطة الدقيقة التي برز فيها حدة ذكاء عبد الله ويذكر البخاري في صحيحه وكتب السيرة هذه المهمة الكبيرة .

بعث رسول الله (ﷺ) إلى أبي رافع رهط من الخزرج حيث توجهت هذه السرية إلى خيبر حيث يسكن أبي رافع في حصن له هناك فلما دنت السرية، وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم، قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلني أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس فهتف البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد الدخول فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخل فكمن، ثم غلقت الأغاليق على وتد وقد جاء في البخاري: أن عبد الله بن عتيك أدرك نفراً من أصحاب أبي رافع يسمرون عنده وكان في علالي له، فكمن حتى ذهب أهل سمره، ثم صعد إليه، وكلما دخل باباً أغلقه عليه من الداخل حتى لا يحول أحد بينه وبين تنفيذ العقوبة بحق أبي رافع^(٤).

(١) السيرة النبوية: الصلابي، ص ٤٥٥.

(٢) اسد الغابة: ابن الأثير، ج ٣، ص ١٠٨-١٠٩. أنظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم الحديث، ٣٨-٤٠.

(٣) البداية والنهاية: لابن كثير، ج ٣، ص ١٩٨. انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، ص ٢١٢.

وانظر: للصلابي، ص ٦٣٩.

(٤) المصدر السابق.

فانتهى عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا يدري أين هو في البيت، قال ابن عتيك: فقلت يا أبا رافع، قال من هذا ؟
قال: ابن عتيك فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وصاح، ثم خرجت في البيت، فمكثت غير بعيد ثم دخلت إليه مرة أخرى، فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟
فقال: لأمك الوليل إن رجلاً في البيت ضربني بالسيف، ثم قمت فوضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أنني قتلتها^(١).

وقد ذكرت كتب السيرة أن امرأة أبي رافع حينما ضرب بالسيف صاحت فأراد عبد الله بن عتيك قتلها، ثم كف عن ذلك، لأن رسول الله (ﷺ) قد نهاهم عن قتل النساء والصبيان^(٢).
ويذكر عبد الله بن عتيك أنه حينما فرغ من ضربه بالسيف، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة من السلم فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته ؟

فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي (ﷺ) فحدثته فقال: ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط^(٣).

ونجد بعض الملاحظات المستفادة من هذه المهمة والتي يمكن أن نعرف من خلالها سبب اختيار النبي (ﷺ) لعبد الله بن عتيك وأن يكون أميراً على هذه السرية وإليك بعضها:-

١. أن ابن عتيك كان يرطن بلغة اليهود وأنه استخدمها مع أبي رافع وأهل بيته فكانت وسيلة لأن يدخل بيت أبي رافع مطمئناً لأنه خاطبه بلغته.

٢. الذكاء الشديد لعبد الله بن عتيك وقدرته على التمويه على الحارس وإيهامه بأنه يقضي حاجته منع الحارس من النظر في وجهه .

٣. من كرامات الله لعبد الله بن عتيك رغم كسر رجله، ظل يمشي بها وكأنه لا يشكو من شيء حتى وصل إلى النبي (ﷺ) فمسح عليها فبرأت^(٤).

٤. السمع والطاعة لأوامر النبي (ﷺ) والأخلاق الرفيعة التي تمتع بها عبد الله بن عتيك وذلك أنه لم يقتل امرأة أبي رافع رغم أنها قد صاحت وكانت تتسبب في فضح أمره وقتله

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) صحيح البخاري: كتاب المغازي، رقم الحديث ٤٠٣٩-٤٠٤٠.

(٤) المصدر السابق .

إلا أنه رضي الله عنه كف عنها واضعاً نصب عينيه وصية النبي الكريم (ﷺ) بعدم قتل النساء والشيوخ والصبيان .

٥. الحرص على إتمام المهمة والتأكد من ذلك ورغم خطورة الأمر وكسر ساق عبد الله بن عتيك فقد مكث في الحصن حتى تأكد من مقتل أبي رافع .

الخاتمة

مما لا شك فيه أن الرسول (ﷺ) له معرفة كبيرة في معادن الرجال وفِرَاسَة بارعة في اكتشاف من له القدرة على تنفيذ المهمة وتعددت الطرق في إختيار الرجال المناسبين حسب المهمة المطلوبة وقد تنوعت بين الفدائية والاستخباراتية والتجسسية والإعلامية والقيادية وقد حقق الرجال الذين اختارهم النبي (ﷺ) نجاحات باهرة أغاضت الأعداء وأرعبت من كان توسوس له نفسه بالتطاول على الإسلام وأهله، والصحابة الكرام الذين ذكروا في البحث بعض النماذج الرائعة التي يضرب بها المثل، والقذوة الحسنة والمدرسة في المبادئ والقيم الإسلامية والشجاعة في تنفيذ المهمات الموكلة إليهم، يتعلم منهم الشباب المسلم في كل وقت.

وقد توصلت إلى نتائج مهمة من هذا البحث:

١. تنوعت تعريفات الفِرَاسَة باختلاف طبيعتها فهي أما ربانية فهي نور يقذفه الله في قلب المؤمن، وإما تفحص في هيئات وأحوال الناس للتعرف على ما في باطنهم، وإما رياضة ذهنية جسدية.

٢. الفِرَاسَة مشروعة في الإسلام ما دامت في حدود التفحص والتثبت للأمور ولا تكون طريقاً للقضاء والحكم مالم تقتزن بدليل وبرهان.

٣. إن طريقة إختيار الرجال والمواصفات التي يتمتعون بها، والنتائج التي تحققت دلت على قدرة الرسول الكريم (ﷺ) في فِرَاسَة الرجال واختيارهم.

٤. تعدد المهمات بين الفدائية والإعلامية والتجسسية والقيادية دلالة على تنوع مهارات المسلمين في كافة المجالات، وأنهم الرجال الأقوياء والأفذان لكل مهمة، والمسلمين اليوم قادرين على تنفيذ المهمات وبجدارة كما فعل اجدادهم.

٥. إن نماذج المهمات لبعض الصحابة التي تعرض لها البحث، تعطى صورة واضحة عن جوانب المهمة وكيفية تنفيذها ونتائجها فتسلط الضوء على مسلسل كامل من الخطوات الناجحة والتخطيط المنظم يمكن الاستفادة منها وفي السيرة العديد من المهمات بحاجة لدارسة عميقة ليتعلم منها الأجيال .

وفي الختام أسأل الله التوفيق في خدمة السيرة النبوية والحمد لله رب العالمين .